

مكانة الطبيعة البشرية في مشروع ميكافيلي السياسي

The Plaice of Human Nature In Machiavelli s Political Project

زازون محمد¹¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، mohammed.zazoun@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/30 تاريخ القبول: 2023/07/12 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

يهدف هذا المقال الى إبراز موقف ميكافيلي وتصوره للطبيعة البشرية، وذلك من خلال دراسته للتاريخ والواقع، فاستخلص دروس وعبر مكنته من إرساء قواعد الفعل السياسي على أسس علمية واقعية، إذا تختلف هذه الأسس التي ألح عليها عن تلك التي اقترحها قبله كل الفلاسفة المثاليون أمثال أفلاطون، الذين أسسوا السياسة على ما ينبغي أن يكون هذا ومن الدروس التي استخلصها هي أن عناصر الطبيعة البشرية هي نفسها الماضي والحاضر وقد تكون كذلك في المستقبل(انها ثابتة) وانها ميالة إلى السوء والفساد أكثر من ميلها الى الخير وأن مصدر الصراع بين الناس بحسب اعتقاد ميكافيلي يعود الى الطبيعة الأنانية والطموحة للإنسان.

كلمات مفتاحية: الطبيعة البشرية، الفعل السياسي، الفساد، الخيرية، المصلحة العامة، الدولة.

Abstract:

This article aims to highlight Machiavelli's position and his perception of human nature, through his study of history and reality, so he extracted lessons and admonitions that enabled him to establish the rules of political action on realistic scientific foundations, if these foundations that he insisted on differ from

those proposed by all idealistic philosophers like Plato, Those who founded politics on what this should be and from the lessons that he learned are that the elements of human nature are the same as the past and the present and may be likewise in the future (it is fixed) and that it tends to bad and corruption more than its tendency to good and that the source of conflict between people according to the belief of Machiavelli it goes back to the selfish and ambitious nature of human.

Keywords: Human nature, Political action, Corruption, Philanthropy, Public interest, The state.

*المؤلف المرسل: زازون محمد

1. مقدمة

تعتبر الفلسفة السياسة عند ميكافيلي أبرز مباحث الفلسفة السياسية في الفكر الغربي، لأنه عالج اشكاليات متعلقة بأسس الدولة والتصورات التي يجب أن تكون داخل الدولة لتنظم الشؤون المدنية وتحدد العلاقة بين الدولة والشعب وفق الأطر الأخلاقية والفلسفية، لقد ركز ميكافيلي على المباحثات المرتبطة أساسا على أصول الحكم والصفات التي يتحلى بها الحاكم لكي يوطر حقوق وواجبات المواطنين، كما اهتم بالفلسفة الأخلاقية مبرزاً فيها أصول الطبيعة البشرية التي تختلف بين الخير والشر، أن هذه القراءات التي تدخل ضمن الأسس السيكلوجية لدى الحاكم والشعب جعلت من ميكافيلي يأسس لقراءة وفهم تاريخي مبني على العقلانية لبناء القوانين التي تسهل من عمل الحاكم وتحفظ الدولة من الفوضى، لقد بحث ميكافيلي في أصول الطبيعة البشرية وجعل منها منطلقاً أساسياً للتأسيس لمنطق الدولة الذي يقتضي القوة والسلطة المطلقة التي تغير من طبائع الناس مهما كانت، لا أن يغير الحاكم من طبيعته خوفاً من أفعال وطبائع الناس لأن هذا يجعل ميزان القوة في صالحهم وليس في صالح الحاكم المطلق فالإشكالية

مكانة الطبيعة البشرية في مشروع ميكافيلي السياسي

المطروحة: ماهي الأسس الفلسفية والأخلاقية والقانونية التي تقوم عليها فلسفة ميكافيلي؟ ماهي المطارحات التي قدمها ميكافيلي كنموذج لتأسيس الطبيعة البشرية ومنطق الدولة؟ ولمعالجة هذه الاشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي من خلال استقراء الاحداث التاريخية لمفهوم الطبيعة البشرية عند ميكافيلي كما اعتمدنا على المنهج التحليل النقدي من خلال تحليل تصورات ميكافيلي ومواقفه من الطبيعة البشرية التي يربطها بموقف الثبات لا التغير، حيث تعتبر هذه الفكرة الجوهرية تجسيدا لمبدأ القوة في الفكر السياسي عند ميكافيلي.

2. ثبات الطبيعة البشرية

وصف ميكافيلي في كتاباته السياسية ما يفعله الناس في الواقع وبين أن منه سماتهم الأساسية التوحش والظلم والفساد. ومن أجل تجاوز هذا الواقع المؤلم رأى أنه ينبغي العودة الى التاريخ لاستخلاص العبر والاقتداء بالناس الذين قاموا بالأعمال العظيمة في ميدان السياسة، لأن في نظره الأمور البشرية ثابتة، تتكرر بالكيفية نفسها في كل الأزمنة، ولن يطرأ عليها أي تبدل، وعناصر الطبيعة البشرية هي نفسها متشابهة في الماضي والحاضر وتكون كذلك في المستقبل. وهذا ما يصرح به في استهلاله للكتاب الأول من المطارحات، حيث تعجب من أمر الحكام الذين لا يحاولون الاستفادة من التجارب الماضية لغيرهم من الحكام في ممارستهم للحكم مثلما يفعل الناس في مجالات الحياة الأخرى. (ميكافيلي)، 1992، ص ص 208-209.

لقد استعار ميكافيلي حسب جان جاك شوفالي نظرية العود الأبدي من المؤرخ الروماني بوليبيوس القائمة على التشاؤم، والتي مفادها أن صيغ الحكم كانت دائمة التمثل بالكيفية ذاتها (شوفالي)، 1985، ص 233، بمعنى أن عبر التاريخ نجد أن الممارسات السياسية نفسها هي التي تتكرر في المجال السياسي وما التقدم والتطور الا مجرد فكرتين فارغتين من المعنى، لأن ما يحدث حسب

مكفاءفلف هو انءقال كءلة الففر والفصفلة من أمة الى أمة؁ وقد اءفء للرومان هءة الفرصة اء واصلء كءلة الففر بالءفاة الى روما الف ءمءء فف اءلفها كل الفضائل وءعلء منها ءزمة واءءة (شوفالف)؁ 1985؁ ص 233)؁

إءا كانت الطبلعة البشرفة ءابءة؁ وكان الرومان فف الماضف فاضلفن الى ءء بعفء؁ ففءساءل مكفاءفلف لماءا لا فظهر فف افاءلفا الفوم انسان ففءمع بكفاءة كبفرة فكون قاءرا على اراءع افاءلفا الى أصلها الفاضل الءف عرفءه من الرومان(مكفاءفلف)؁ 1982؁ ص 196)؁ لأن إفاءلفا فف نظره ءءءاء الى انسان عظمف قاءر على ءأسفس ءولة قوفة ءقوم على أسس ءابءة ءضمن لها اسءراءع مءءها الرومانف؁ وهءا باءباع كل الوسائل الفف فراها ملاءمة لءءقق ذلك؁ لأن الغافة هف انقاءها من الءمار والءراب وعلى هءا فمكن ءشبفه عمل مكفاءفلف كما ذهبء إلفه إلفن ففءرفن؁ بعمل الطبلفب الءف فعالف المرضف بالراءوع الى الوصفاء والءراءب السابقة؁ فوصفاءه لم ءأف من العءم وهءا واضء من قولها : " فكتب مكفاءفلف لمعالءة المرضف عنءما فصف أسباب عظمة روما؁ فانه فقءرء على معاصرفه العلاء الءف فعفء لهم قواهم؁ وهكءا فؤءف ءأمل فف ءالفء الى علم وءعف (ففءرفن؁ 1974؁ ص 47)؁

إن الطبلعة البشرفة كما فءصورها مكفاءفلف لا ءءفر أكءر من ءفر السماء والأرض؁ بءفء نءء البشر فولدون وفعفشون وفمءون ءأما ءءء النظام نفسه والقوانفن الأبءفة نفسها؁ كما فءضعون لراءباء وشهواء واءءة(شوفالف)؁ 1985؁ ص 339)؁ الطبلعة البشرفة بفراءزها وطموءاءها وسماءها لا ءءفر وانما طرفة الءكم هف الف ءءفر؁ لءا على الءاكم أن فكون مسءعءا أثناء ءكمه أن ففر طرفة ممارسءه للءكم ولفس ءفرفر طبائع الناس؁ لأن الءءف من ءولة القوفة هو ءنظفم طبائع الناس والءء من أنائفهم وقسوءهم بسن قوانفن صارمة ولفس

مكانة الطبيعة البشرية في مشروع ميكافلي السياسي

تجاهله، أي تكيف وسائل ممارسة الحكم مع الطبيعة البشرية وليس تكيف الطبيعة البشرية مع وسائل الحكم، لأن الثابت هو الطبيعة والمتغير هو الوسائل. يؤكد ميكافلي أنه إذا تمعنا في الطبيعة البشرية يمكن لنا معرفتها كمعرفة الظواهر الطبيعية ولكن بشرط أساسي وهو أن تكون ملاحظتنا لها عبارة عن تقرير الطبيعة البشرية كما هي في الواقع، وهذا حتى نبتعد عن النظريات التقليدية التي اهتمت بما يجب ان تكون عليه الطبيعة البشرية وذلك تجنباً للأفكار المكتسبة والمعارية والخيالية التي تمنع العقل من بلورة تصور دقيق عنها يقوم أساساً على المبدأ العلمي الحديث، الذي يقول بأن الأسباب نفسها تؤدي حتماً إلى النتائج نفسها، لا نه حتى في ميادين السياسية فإذا عرف الحاكم الأسباب المتحركة في أفعال الناس يمكنه أن يكيف وينظم، ممارساته السياسية بالشكل الذي يضمن له التحكم في رعاياه في الحاضر وفي المستقبل، وبالتالي يضمن استمراره في الحكم وفي هذا الصدد يصرح: "يقول الحكماء، ولا يخلو قولهم هذا من التعقل والأساس السليم، على أن من يريد التكهن عن المستقبل أن يكون عليماً بأحداث الماضي، إذ أن كل ما يقع في العالم في أي وقت من الأوقات، لابد وأن يكون له شبه أصيل بما وقع في القرون الغابرة. ويرجع هذا القول إلى الحقيقة والواقعة، وهي أن الرجال هم الذين يسيرون في كل هذه الحوادث، وأن عواطف الرجال هي دائماً واحدة لا تختلف مطلقاً، ولذا فهي تؤدي دائماً إلى نفس النتائج وقد تكون أفعال الناس أحياناً في هذا البلاد حقاً أكثر فضيلة من أفعالهم في تلك، أو أنها في هذا العصر أفضل منها في ذاك وهذا طبقاً لطراز التربية الذي اشتق منه سكان هذا البلاد طريقتهم في الحياة (ميكافلي)، 1992، ص752).

يرى هوركهايمر في هذا الصدد أن الواقعية والموضوعية التان تسعى بهما العلم الذي أتى به المجتمع البورجوازي والذي لا يمكن فصله عن التقنية والصناعة، مكننا المجتمع من السيطرة على الطبيعة باكتشافه لطرق إنتاج

جديدة وصناعة آلات انتاج حديثة ،وممكن أيضا الانسان من السيطرة على أمثاله، وجملة الوسائل التي من شأنها أن تجعل هذه السيطرة ممكنة وتؤدي اليه، وجملة الاجراءات التي من خلالها يمكن الحفاظ على هذه السيطرة هي التي توسم بالسياسة، والفضل هوركهيايمر في هذا يعود الى مكيافلي الذي تفتن، مع بداية هذا المجتمع الجديد الى امكانية وجود علم سياسي يشله في أسسه وقواعده الفيزياء وعلم النفس لكونه شرح وحلل بكل بسالة ووضوح الملامح الأساسية لهذا العلم (هوركهيايمر)، 2006، ص ص 12-13)، هذا ما ساعده على تحرير الفكر السياسي من المقاربة المعيارية التي كانت تهدف الى تحديد أفضل حكومة لأفضل ناس، كما هو حال محاولة أفلاطون ومن سار على دربه بحثا عن جمهورية مثالية متعالية، عن الجمهوريات والمدن الموجودة في الواقع، وذلك اعتمادا على تصور لطبيعة البشرية ليس له وجود الا في عقولهم. اذا باعتقاد مكيافلي ان الطبيعة البشرية تخضع لقوانين وميكانيزمات واحدة حاول ان يؤسس قواعد الأساسية لحكم السياسة، ولو لم يعتبر الطبيعة البشرية ثابتة لما تمكن من ذلك لأن العلم لكي يتم تأسيسه يجب ان يقوم على مبادئ مستقرة، تستقي استقرارها من ثبات الظواهر التي يدرسها. أدوات هذا العلم الجديد استوحى أغلبيتها من الماضي وكذا من خبرته الشخصية، فعندما يتصفح مكيافلي مؤلفات تيت ليف للاطلاع على التاريخ الروماني فانه يبحث فيه عن القوانين الثابتة الخالدة، المتعلقة بالسيطرة على الناس. (هوركهيايمر)، 2006، ص 13)، ولهذا كان مكيافلي يبحث ويحدد جملة الوسائل والقواعد التي من شأنها أن تسمح للأمر أن يتحكم في هذه الطبيعة وينظمها، كل الوسائل بما فيها القانون والأخلاق والدين والحيلة التي من شأنها أن ترتقي بالطبيعة البشرية الى رتبة المجد والعظمة وتجعلها طبيعة خادمة للمصلحة العليا للوطن، وليس خدمة المصلحة الشخصية الضيقة، مهمة الحاكم إذا ليس

مكانة الطبيعة البشرية في مشروع ميكافيلي السياسي

تغير الطبيعة البشرية وإنما توجيهها وفق لما يمليه منطق الدولة، إنها جمل العناصر المكونة لهذه الطبيعة، تخدم الغرض السياسي الأسى.

إن جميع الفضائح التي يقوم بها السياسيون في اعتقاده يعود سببها الى عدم فهمهم التاريخ، لأن لو فهموا هذا الأخير سيعرفون لا محالة السياسية الرشيدة الواجب اتباعها ونوع الحكم الملائم لتدبير الشؤون العامة، وعلى هذا الأساس يرى ميكافيلي أنه اذا كان الشعب فاسدا وعمته الفوضى فأن التاريخ حافل بالعبر التي تبين أن الحكم المطلق هو الأمثل، أما اذا كان الشعب يتمتع بقدر معين من الفضيلة فان الحكم الجمهوري في نظره، حسب التاريخ دائما، هو الانسب (فيدرين)، (1974، ص35).

توجد حسب دورة محددة تتحكم بانتظام طبيعي في السيرورة التاريخية للدول، بحيث أية دولة لا يمكنها الاستمرار والدوام بالوتيرة نفسها وفي هذا الصدد: لما كانت الشؤون الانسانية في حالة دائمة من التمدد، فإنها تتحرك اما صعودا أو هبوطا (ميكافيلي)، (1992، ص422) وتشرح لنا الين فيدرين هذه الدول بقولها: ان التاريخ يسير بحتمية داخلية تفترض العودة الدائرية في الانحطاط والنجاح للخير والشر فكل نموذج من الحكم ينحط بالضرورة. وما التغيير الا انتقال داخل دائرة الحتمية (فيدرين)، (1974، ص50).

3. فساد الطبع البشري

ان الطبيعة البشرية، ثابتة هي نفسها عبر العصور، إنها ميالة الى السوء والشر أكثر من ميلها الى الفضيلة والخير، لقد أكد هذه المسألة ليسلي ووكر في تقديمه لكتاب المطارحات اغذا صرح قائلا: "إن ميكافيلي لم يكن مخطئ في رأيه كل الخطأ، فالشهوات هي عين الشهوات، والعواطف عي نفس العواطف من طموح وحسد وشك وطلب للثأر ورغبة في السيطرة وما يتبعها من رفض شديد لها، وسخط يحمله الذين لا يملكون عندما يرون الآخرين يملكون الكثير وهؤلاء

يملون بالطبع إلى خلق الاضطراب الا إذا ضبطوا ضبطا محكما) مكيافيلي ،
(1992، ص 152)

هذا هو مصدر السوء عند البشر، الذي لا يكون ضبطه وتهذيبه إلا بواسطة القوانين الصارمة والقوة إذا اقتضى الأمر ذلك ، وإلا فانه سيولد في الدولة فوضى وفساد اللاحدود لهما، مما يؤدي الى انهيارها وانحطاطها، فالسياسية عند مكيافيلي هي قبل كل شيء معرفة الوسائل اللازمة والاجراءات المناسبة واتخاذها ازاء هذه الطبيعة الانسانية الميالة الى الفساد، وتختلف الوسائل مع اختلاف درجات فساد الناس.

على السياسي أن يدرك أمرا هاما هو أن الناس على الرغم ما يبدون عليه من خير وفضيلة فانهم يميلون الى القيام بالشر والرذائل إذا تركت لهم الحرية لذلك، فمن واجب السياسي الالتزام بالحدز والحيطرة دائما، وأن لا يغفل في انتهاج السياسية التي تلائم كل وضع يكون عليه الناس، فاذا لم يقوم بذلك فان الفشل سيلحق بالضرورة على كل أعماله وسياسته كما لحق الفشل الراهب سافونا غرولا الذي ركز في سياسته على الوعظ وإصدار التعاليم والقوانين دون أن يستعمل القوة، متجاهلا طبيعة البشر السيئة، فكانت نهايته ونهاية مشاريعه كارثية (شوفالي)، (1985، ص 239)

يحذر مكيافيلي في طيات صفحات مؤلفاته الحكام من إتباع مثل هذا السلوك العبثي، ويحذرهم كذلك من سلك مسلك الأنبياء العزل، مدركا كل الادراك أن الناس ليسوا ملائكة. وفي هذا الشأن يقول: أشار جميع كتاب السياسة، عبر التاريخ الطويل الى أن هناك عددا ضخما من الأمثلة التي تقيم الدليل على أن الواجب يدعو عند تأليف الدول والتشريع لها، إلى اعتبار الناس جميعا من الأشرار وإلى أنهم ينفسون دائما عما في ضمائرهم من الشر، عندما تتاح لهم الفرصة للتنفس به(مكيافيلي)، (1992، ص 224)

مكانة الطبيعة البشرية في مشروع ميكافيلي السياسي

من شأن إقامة نظام سياسي ومنه قوانين جديدة إلى جانب القوة العسكرية جعل الدول تسير سيرا حسنا والناس يتجنبون الفساد والعنف والفتن، أو الاستعانة بالجانب لنيل أغراضهم فعلى الدولة أن تحدث قوانين وتنظيمات قضائية من شأنها أن ترغم الناس على عدم ارتكاب الشر والتجاوزات ضد أناس آخرين، لأن هذا التجاوز قد يجلب البلاء ومشاكل جمة لها: كالتدخل الأجنبي إن الناس أشرار وقادرون على القيام بأي عمل لإرضاء رغباتهم ومطالبهم، ولعل في رأي ميكافيلي، الاستنجاد بالأجانب لحمايتهم ضد فئة ظالمة هو من أخطر الشرور، وهذا ما كان بالأخطر في إيطاليا في أيامه وعلى دستور الدولة أن يضمن كل النصوص والميكانيزمات التي من شأنها أن تبعد الاساءة والخطر عن الدولة، وحسب تعبير ليسلي ووكر: فإن القانون وحده هو طريق الخلاص للناس سياسيا، وأن هذا القانون شيء دنيوي لا قواعد له ولا جذور في عالم الأخلاق، وأنه السبب لا النتيجة للطبيعة الانسانية(ميكافيلي، 1992، ص15)

القانون هو الذي يجعل الناس فضلاء ويحد من طبيعتهم الشرسة، وليست الطبيعة التي فيهم هي التي تنشأ القانون.

تعتبر تشاؤمية ميكافيلي هنا نبيلة مادام أنه يؤمن بوجود إمكانية جعل الناس فضلاء، ويقومون بالخير، ويخدمون مصلحة الجامعة والدولة، شرط أن يوجد هناك إطار قانوني يوجههم ويجعلهم يسرون في طريق الصواب، ودور رجل السياسة هو ايجاد هذا الاطار.

القوانين و التشريعات كافية اذ لم يكن الجوهر فاسدا، فحسبه: عندما لا يكون الجوهر فاسدا، لا تؤدي الفتن وغيرها من الفضائح الى أي ضرر. في حين عندما يفسد الجوهر، فإن التشريعات الصارحة لا تجدي نفعا الا اذا كانت من وضع انسان في مركز قوي للغاية يمكنه فرض الطاعة الى الوقت الذي يكون فيه صلاح الجوهر قد تحقق (ميكافيلي، 1992، ص 286)

إن هذا الانسان الذي يتحدث عنه هو الحاكم القوي الذي بفضل كفاءته وارادته يستطيع ان يرجع الامور الى أصولها، ويبعثها من جديد، إذا هناك علاقة جوهرية بين الطبيعة البشرية وأسلوب حكم الحاكم الناجح.

إن الثقة في طبيعة الناس غير ممكنة، لأنها في تبدل مستمر، تتغير بتغير الأهواء والأطماع والأوضاع، لقد صرح بهذا الصدد وتعبير مشحون بالتشاؤم، قائلا: ولأرب في أن الانسان الذي يريد امتحان الطيبة والخير في كل شيء، يصاب بالحزن والأسى عندما يرى نفسه محاطا بهذا العدد الكبير من الناس الذين لا خير فيهم.(مكيافيلي)، 1982، ص 136) إن الحاكم الذي يحكم البلاد وكل إرادته وأمله هو خدمة المصلحة العليا، المصلحة المشتركة، سرعان ما يجد نفسه محاطا بأناس نيهم سيئة، همهم الوحيد هو سعيهم ورأى أطماعهم ومصالحهم، أناس في استعداد دائم للإساءة حتى الى الحاكم ويقول لهم إن الاعتماد على نوايا الناس كلية هو الخطر الذي سيتعرضون له لامحالة، لابد من كبح أهوائهم والسيطرة على طبائعهم، وهذا بتخويفهم بالجوء الى شتى أنواع العقاب الملائمة لان: الناس يحبون تبعا لأهوائهم وارادتهم الخاصة، ولكنهم يهافون وفقا لأهواء الأمير(مكيافيلي)، 1982، ص 146)

وبناء على هذا ينبغي على الحاكم أن يكون في حالة استعداد دائما لمقاومة ثورة الرعايا عليه، فالناس حسبه، يشدون تحرر من الخوف بعد ذلك على ايقاع أضرار التي تخلصوا منها بالآخرين، وهي صورة يبدو فيها وكأنها من الضروري إما أن يسيء الانسان معاملة الآخرين أو يتعرض هو إلى إساءة المعاملة (مكيافيلي)، 1992، ص 370) وحسبه فان الرذائل تكون أكثر خطورة عندما تنتشر عبر الحكام والسياسيين لأن العامة كما يقول: تكون أكثر صوابا في نواحي كثيرة وشروهم أقل خطرا (مكيافيلي)، 1992، ص 410)

4. صراع الكائنات البشرية

يرجع الصراع والتنافر بين الناس حسب ميكافيلي الى الطبيعة الانانية والطموحة ، حيث اكد ان مصدره تصادم المصالح الخاصة واختلاف الاغراض بين الفئات الاجتماعية المختلفة المكونة للمجتمع ، ورأى ان هذا الصراع مفيد للجمهورية لان بفضلة تسن في الدولة القوانين الجديدة ، ويقول في هذا الامر ويقول في هذا الامر في كل جمهورية يكون هناك اتجاهان مختلفان، احدهما للشعب والآخر للطبقة العالية، وان كل تشريع من التشريعات الموازية للحرية لا ينجم الا عن الصدام الذي يقع بين الطبقتين(ميكافيلي)،1992،ص226)فالفتن التي تنشب بين الرعايا ليست مصدر شقاق في الدولة وانما مصدر نظام وفضيلة وقوة، اذ بشرط اذا حدثت هذه الفتن في دولة حسنت التنظيم مثل روما القديمة مثل هذه الجمهورية يكون الصراع عبارة عن شر لا بد منه، اذ بفضله حققت روما عظمتها، ولو لم تكن روما قوية بقوة دستورها ونظامها وحكمة حكامها لادت الصراعات التي وقعت بين العامة والسيوخ الى نتائج خطيرة على استقرار الجمهورية ، فيقول في هذا الصدد: ان العدد بين مجلس السيوخ وشعب روما هو الذي ابقى على حريتها، وذلك لان هذا الخلاف ادى الى سن قوانينها لتكون في مصلحة الحرية (ميكافيلي)، 1992،ص345) أما الخطر الذي يشكله النبلاء على استقرار الجمهورية فانه في حالة قوة الدولة، يمكن احتوائه والحد من شدته وقد أشار ميكافيلي الى هذه المسألة قائلاً: وذلك لان طموح العظماء يكون دائماً على درجة كبيرة من العظمة اذ لم تتمكن مدينة ما بطرق شتى اساليب مختلفة من كبح جماح هذا الطموح، فان تلك المدينة ستتهار حتما (ميكافيلي)، 1992،ص345)

لقد أكد على أن الصراع بين فئات الشعب والصراع الطبقي هو عامل من العوامل الاساسية لتطور الدول والحضارات، إذ بفضله تنشأ العادات والقوانين

الحسنة، ويقول هوركهايمر في هذا الصدد: أن تقدم الحضارة، حسب ميكافيلي، كان حتى الآن بطريقة ما حاسمة عبر الصراعات بين الطبقات الاجتماعية، وليس لهذه الصراعات التي رءاها تدور اساسا على شكل حروب اهلية ليس لها في رأيه أي طابع ضار ذلك أنها تشكل شرطا جوهريا لبلوغ عالم افضل(هوركهايمر)، (2006، ص21)

هذا الصراع هو نقطة بداية الحكم ونشأة الدول وأنه وسيلة أم الحاكم لضمان الاستمرار في الحكم حسب ميكافيلي .

على الرغم من تأكيده أهمية الصراع في الحفاظ على الدولة وعلى استمرارها الا انه يعرف جيدا أنه صراع بين الناس الذين يملكون والذين لا يملكون، وأن مصدره بالدرجة الاولى هم الناس الذين يملكون وهذا ما أشار في قوله: وتنجم مثل هذه الاضطرابات في الحقيقة وعلى كل حال عن الذين يملكون (ميكافيلي)، (1992، ص232) غير أن هذا الصراع المستمر حول توزيع هذه الثروات موجود في نظر سامي ناير، في كل نظام سواء أكان جمهوريا او ملكيا او طاغيا (Nair, 1984, P32)، وأما دور الدولة حسبه فهو محاولة خلق توازن اجتماعي بين فئات الدولة المتصارعة (Nair, 1984, PP31-32)، لأن الرغبة في الحفاظ على الملكية والرغبة في الحصول عليها ليس في نظر ميكافيلي الرغبة في التملك يؤكد على أن الدول القوية هي التي تستطيع ان تتجاوز الخلافات الداخلية التي يتشب بين الناس وان تتعالى عنها ،لان اهدافها اكثر سموا من تلك النزاعات والخلافات ،وتتمثل هذه الاهداف في المحافظة على الاهداف المشتركة والمحافظة على مصداقية الدولة وشرعيتها.

في الواقع أن الصراعات التي تهم ميكافيلي هي القائمة بين القوى الاجتماعية الحيوية التي لها وزن على السياسة، حيث تقول الين فيدرين: بقى مكافيلي بعيدا عن تحرير المضطهدين فلا شعب فلورنسا المثابريهمه، ولا طبقة

مكانة الطبيعة البشرية في مشروع ميكافيلي السياسي

الفلاحين، كما أنه يعتمد على الامراء والتجار، يضعهم في مقابل البدائيين كل التجار الذين اثروا حديثا ورجلوا المعارف وأغنياء الحرب والطبقات القديمة البورجوازية، والمستفيدون الجدد من الانماء الاقتصادي كلهم يهيمنون ميكافيلي لأنهم ينتمون الى الطبقات الحاكمة وحسب الظروف أو التحولات يتغلب فريق على آخر، ولكنها صراعات داخلية أبعد عنها الشعب والطبقة الفلاحية (فيدرين)، 174، ص 95) يتضح لنا أن صراعات الجماهير تهم ميكافيلي عندما تطالب بالحماية والحريات والحقوق الأساسية ان تأثير العامة على مجريات الشؤون السياسية ليس فعال ومفيد بقدر كامل .

5. خاتمة

بناء على ما سبق يمكننا القول أن على كل حاكم إن أراد أن يؤسس دولة قوية ومستقرة لا تتعرض للهزات والخراب والفوضى عليه أن يدرس ويفهم جيدا جوهر وعناصر الطبيعة البشرية لأن حسب ميكافيلي كل علم سياسة والقواعد والمنطق الذي يسير الشعوب والدول يقوم على فهم هذه الطبيعة ومعرفة ميكانيزماتها، كما أن على السياسي أن يتمعن في حركة التاريخ ليستخلص العبر ويعرف السياسات الملائمة لواقعه وزمانه.

درس ميكافيلي طابع الشعوب، الناس المحكومين، كما درس طابع الحكام، وحكم على هذه الطبائع من زاوية أهميتها و نجاعتها السياسية (فعاليتها) وليس من زاوية أخرى سواء أكانت أخلاقية أو دينية، وحلل كذلك الدورة التاريخية مستهدفا إستفادة الحكام من وراء ذلك.

حور ميكافيلي طبيعة البشر وقال أنها تميل الى السوء والفساد فاذا كان الشعب فاسدا وأن هذا الفساد لم يمس الجوهر، بمعنى المؤسسات والتنظيمات والقوانين التي هي ضرورية لاستمرار الدولة واستقرارها فان اصلاح الشعب أمر ممكنا وسهلا ويمكن توجيهه في الطريق الذي يسترجع له حريته وقوته وحيوته

ويخدم الخير العام، أما إذا بلغ هذا الفساد الأعماق فإن الحلول الجذرية هي التي تفرض نفسها لانقصاد البلاد وبناء نظام مستقر.

ويستنتج ميكافيلي أن سبب تحول مزاج الناس وطباعهم يسبب انحلال وتفسخ الجمهوريات ، فلا بد للحكام وضع حد للإساءات اينما كان مصدرها ووجهتها، رغم كون رايه واحد فيما يتعلق بفساد طبيعة البشر عامة الا ان اهتمامه الاكبر انصب كثيرا على فساد الحكام والاقوياء فهو الذي يشكل خطرا حقيقيا على الدولة ، ينظر للفساد من زاوية نتائجه السياسية كونه مرض يعرقل نمو البلاد وتقدمها، وتشخيص ضروري لايجاد الدواء له ، الفساد يعرقل القوى الحية المنتجة والفعالة في البلاد .

ويؤكد أن الدولة التي تعرف حياة سياسية مستقرة ، عظمتها لا ترجع الى طيبة شعوبها ، وانما الى قوة ملوكها الذين استطاعوا الحفاظ على وحدة دولهم. وان الشعب اذا تشبع بحب الوطن فان اسائته للدول ولحكاه تكون عابرة وسطحية لا تؤثر لا في حريته ولا في استقرار وبناء وطنه . اما الصراع القائم بين فئات المجتمع فهو حسب مصدر قوة للدولة اذا كانت هذه الاخيرة قوية وحسنة التنظيم ، اما اذا كانت ضعيفة فهو مصدر خراب ودمار وفوضى .

6. قائمة المراجع:

- شوفالي، جون جاك. (1985). *تاريخ الفكر السياسي من المدينة الى الدولة القومية*.
تر: محمد عرب صاصيلا. ط1. بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع .
- فيدرين، ألين. (1975). ميكافلي، تر: أمير الزين، ط1، بيروت ، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر 1974.
- ميكافلي، نيقولو. (1982). *الامير*. تر: فاروق سعد. ط12. بيروت: منشورات دار
الافاق الجديدة.
- ميكافلي، نيقولو. (1992). *المطارحات*. ترجمة خيري حماد. ط1. بيروت: المكتبة
التجارية للطباعة والتوزيع والنشر.
- هوركهايمر، ماكس. (2006). *بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية*. تر: محمد علي
اليوسفي. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.